الفصل الأول

أسطورة عداء الأغيار الأزلي لليهود

مزاعم أسطورة عداء الأغيار لليهود

يلجأ اليهود إلى ادعاء أن اليهود هم الضحية الوحيدة في التاريخ فكل الأمم على مدى التاريخ يناصبنهم العداء ، ويحاولون استئصال جنسهم السامي ، ويسوق اليهود الأدلة التاريخية على صحة هذا الزعم متخذين من التاريخ التوراتي المجتزأ الانتقائي دليلا قاطعًا على صدق دعواهم .

وبعد سيطرة الخطاب الصهيوني على النشاط الإعلامي الغربي لم تَعُد هناك تفرقة بين ظاهرة معاداة اليهود في الدولة الرومانية وظاهرة معاداة اليهود في العصور الوسطى المسيحية. ولم يَعُد هناك تمييز بين معاداة اليهود على أساس عرْقي وبين معاداة اليهود على أساس ديني .

لقد اتخذ اليهود الصهاينة من أسطورة العداء للسامية سلاحًا يشهرونه في وجه أي إنسان يعترض على أفعالهم الإجرامية ، أو يكشف زيف ادعاءاتهم الباطلة ، أو يقول كلمة حق مخلصة ؛ فيسارعون في وصفه بأنه معاد للسامية ، وهذه الكلمة لها تأثيرها الكبير على المجتمع الغربي لأنها تذكره بعقدة الذنب التي كان سببها ما فعله هتلر النازي مع اليهود حيث أحرق منهم نحو ستة ملايين يهودي – بزعم اليهود الصهاينة – وإن كان العدد أقل من هذا بكثير حسب الدراسات التي قام بها رجاء جارودي (١) لكنها الدعاية الصهيونية التي تحاول ابتزاز العالم وخاصة ألمانيا وكسب تعاطف الشعوب الأوربية لممارساتهم الإرهابية .

---

(١) راجع الباب الرابع من هذا الكتاب " أسطورة الملايين الستة " .

الرد على أسطورة عداء الأغيار لليهود

إن أسطورة عداء الأغيار (غير اليهود) لليهود من الأساطير الصهيونية التي يحاول اليهود الصهاينة أن يستدروا بها عطف العالم خاصة الأوربيين فهم يزعمون "أن اليهود هم الضحية الوحيدة على مستوى التاريخ" مستغلين ما يحس بها الأوربيون من الشعور بالذنب تجاه اليهود بعد محرقة هتلر النازي وللأسف الشديد هناك من الأوربيين من يصدق بهذه المزاعم الكاذبة ويتعاطف مع اليهود في صراعهم مع العرب ويمدهم بكل سلاح للدفاع عن أنفسهم ضد جمال عبد الناصر النازي الجديد الذي يريد أن يرمي بهم في البحر !! أو ضد صدام حسين الدكتاتور العنيد الذي يريد أن يحرق نصف إسرائيل !! أو ضد أسامة بن لادن الإرهابي الكبير الذي يريد أن يبيد غير المسلمين . أو حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي ومن وراءهم من محور الشر (إيران وسوريا) الذين يوجهون صورايخهم ضد المدن الإسرائيلية الآمنة ويخطفون الجنود الإسرائيليين المسالمين !!

والحقيقة أن اليهود ليسوا الضحية الوحيدة على مدى التاريخ فهناك أمم شتى تعرضت للسبي والتهجير والتعذيب والاستعباد ، لكن اليهود لا يذكرون إلا عذاباتهم هم .

فحينما يقوم البابليون بسبي وتهجير كثير من الأقوام السامية في فلسطين والشام لا يُذكَر سوى العبرانيين، وحينما يبيد النازيون الملايين لا يُذكَر أيٌّ من السلاف أو الغجر أو المعوقين أو غيرهم ممن تمت إبادتهم ، وذلك حتى تظل الأضواء مسلَّطة على اليهود وحدهم ، ويظل اليهود هم الضحية الوحيدة والأغيار هم الذئب الدائم .. وبناءً على ذلك يصبح احتلال فلسطين وطرد سكانها منها مجرد تعويض عما حاق باليهود من أذى على يد النازيين ! "(١)

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ " التأريخ من خلال الكوارث " بيت العرب للتوثيق العصري والنظم .

لم يكن اليهود وحدهم من تعرض لاعتداء الأغيار عليهم ففي عصر الشهداء تعرض المسيحيون للتعذيب والتنكيل والإبادة من الرومان بسبب تمسكهم بدينهم ورفضهم لوثنية الرومان .

فكل وثني يعرف أحد المسيحيين ويرشد عنه ، كان يؤتى به علي عَجَل ويدعون الواحد باسمه يتقدم إلي هيكل الأوثان فيطلب منه تقديم الذبيحة الوثنية ، وكان عقاب من يرفض تقديم الذبيحة للصنم أن يكون هو نفسه ذبيحة له ، بعد أن يجتهدوا في إقناعه بذلك بكل وسائل التخويف والإرهاب . (١)

وفي الأندلس انتهى وجود ملايين من المسلمين بسبب محاكم التفتيش .

تقول الدكتورة زجريد هونكه :

" في ٢ يناير ١٤٩٢ م رفع الكاردينال (دبيدر) الصليب على الحمراء، القلعة الملكية للأسرة الناصرية، فكان إعلاناً بانتهاء حكم المسلمين على أسبانيا . وبانتهاء هذا الحكم ضاعت تلك الحضارة العظيمة التي بسطت سلطانها على أوربا طوال العصور الوسطى، وقد احترمت المسيحية المنتصرة اتفاقاتها مع المسلمين لفترة وجيزة، ثم باشرت عملية القضاء على المسلمين وحضارتهم وثقافتهم .

لقد حُرِّم الإسلام على المسلمين، وفرض عليهم تركه، كما حُرِّم عليهم استخدام اللغة العربية، والأسماء العربية، وارتداء اللباس العربي، ومن يخالف ذلك كان يحرق حيًّا بعد أن يعذّب أشد العذاب .

وهكذا انتهى وجود الملايين من المسلمين في الأندلس فلم يبق في أسبانيامسلم واحد يُظهر دينه (٢)

(١) الشماس منسي القمص " تاريخ الكنيسة القبطية " ص ١١٠
(2) د. زجريد هونكه " القومية" ص ١٧٤

ويعترف أحد اليهود " روبيك آتوف " بهذه السياسة الإسرائيلية الوحشية تجاه العرب فيقول : " إن الغزو الصهيوني يستمد الوحي والقوة الدافعة لتصرفاته من أحلام وتطلعات تلك الأرواح التي تعرضت للتعذيب في الجيتوات الأوروبية ، إذ يبدو أن السنوات الطويلة من الإذلال والاضطهاد اللذين عاناهما اليهود في أوروبا والذي بلغ ذروته في عمليات الإبادة الهتلرية ، قد تركت شرخاً عميقًا في البنية الروحية لليهود الأوروبيين الذين يقودون إسرائيل اليوم ، وهكذا فإن أحقاد مئات الأعوام تجد اليوم متنفسًا لها من خلال الوحشية التي يُعَامَل بها العرب على نحو لم يسبق له مثيل قط . ولكن أي قدر ساخر قاسٍ هذا الذي يجعل اليوم العرب الذين كانت أراضيهم ملاذا لليهود الفارين إليها من الفظائع الرهيبة التي كانوا يتعرضون لها في أوروبا خلال القرون الوسطى ، ضحايا لاضطهاد بهذا المستوى والقسوة على أيدي اليهود بالذات " [1]

وقد وصلت تأثيرات النكبة النازية على السيكولوجية القومية في إسرائيل إلى ذروتها في الأسابيع التي سبقت حرب يونيو ١٩٦٧ . لقد استولى الفزع على الإسرائيليين بما فيهم الكثير من الشباب ، واعتقد الكثيرون أن المصريين الذين كانت نداءاتهم متعطشة للدماء ، وتردد كل ساعة في الراديو يدبرون لهم نكبة يهودية جديدة إن المؤسسة الإسرائيلية تنمي حاسة اليهودي باستمرار لتحقيق أكثر من هدف ، وأهم هذه الأهداف هو دفع الإسرائيلي للقتال بشراسة تحت ستار " الدفاع عن النفس من خطر الإبادة " ، وإيهام العالم الخارجي بمدى الخشية الإسرائيلية من خطر الإبادة العربية . وقد شهد الكثيرون من المراقبين بقدرة هذه المشاعر في تلك الفترة ، حيث تنفجر فيه عقدة المادة الانتحارية وتحل كل المشاكل الشخصية ، وتتآلف الأحزاب المتعارضة ، وتنشأ حكومة قومية ويبحثون عن بطل قومي . [2]

([1]) آتوف . روبيك : « العرض المزدوج للباتريوت » صحيفة على هشمار ٢٩ / ١٠ / ١٩٨٢ نقلا عن كتاب " الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية " دار الهلال ص ٢٣٦، ٢٣٧ .

([2]) د. رشاد الشامي " الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية " مرجع سابق ص ٢٣٧

والعجيب في الأمر أن اليهود يستخدمون مع العرب سلاح البطش والإرهاب ويصرحون للعالم بأنهم مهددون بالإبادة والحرق .

وكانت النتيجة أن إسرائيل احتلت أراضينا واستمر وصفهم بالضحية أما نحن فضاعت أراضينا واتهمنا نحن بالبربرية والنازية !!

والتساؤل هنا الذي يطرح نفسه لماذا اليهود على مدى التاريخ هم وحدهم – على حد اعتقادهم – المضطهدون من كل البشر على اختلاف أزمانهم وجنسياتهم ومعتقداتهم ؟!!

والحقيقة التي يصل إليها دارس التاريخ الإنساني العام أو توراة اليهود نفسها يتضح له بجلاء أن اليهود لم يكونوا أبدًا الضحية بل هم دائمًا أس البلاء في كل بلد حلوا به بما يتميز به أكثرهم من خيانة للعهود ، وإثارة الفتن والحروب ، وما كانت النوازل التي حلت بهم إلا جزاء وفاقا .

الأسباب الحقيقية وراء اضطهاد اليهود

من العجيب حقًا أن يكون " يهوه " إله بني إسرائيل وراء كل اضطهاد حاق ببني إسرائيل أو اليهود ؛ فهو الذي قرر إفناءهم بسبب كفرهم به واتخاذهم العجل إلهًا من دونه .

" ٧فَأَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى: «قُمْ وَانْزِلْ فَإِنَّ الشَّعْبَ الَّذِي قَدْ أَخْرَجْتَهُ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، قَدْ فَسَدَ. ٨إِذِ انْحَرَفُوا سَرِيعاً عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَمَرْتُهُمْ بِهِ، فَصَاغُوا لَهُمْ عِجْلاً وَعَبَدُوهُ وَذَبَحُوا لَهُ الذَّبَائِحَ هَاتِفِينَ: هَذَا هُوَ إِلهُكَ يَاإِسْرَائِيلُ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ». ٩وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «لَقَدْ تَأَمَّلْتُ فِي هَذَا الشَّعْبِ، وَإِذَا بِهِ شَعْبٌ عَنِيدٌ مُتَصَلِّبُ الْقَلْبِ. ١٠وَالآنَ دَعْنِي وَغَضَبِي الْمُحْتَدِمَ فَأُفْنِيَهُمْ، ثُمَّ أَجْعَلَكَ أَنْتَ شَعْباً عَظِيماً». "(الخروج :٣٢)

هذا هو رأي " يهوه في بني إسرائيل " شعب عنيد مُتَصَلِّب القلب " وسيظل هذا دأب كثير ممن ينتسب لهذا الدين . ويأخذ موسى في الابتهال إلى الرب ليعفو عن

شعبه العنيد حتى لا يَشْمت به المصريون " فتراءف الرب ولم يوقع بشعبه العقاب الذي توعد به " (الخروج : ٣٢)

ولكن موسى ما إن اقترب من المخيم " ١٩ وَشَاهَدَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ حَتَّى احْتَدَمَ غَضَبُهُ وَأَلْقَى بِاللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدِهِ وَكَسَّرَهُمَا عِنْدَ سَفْحِ الْجَبَلِ. ٢٠ثُمَّ أَخَذَ الْعِجْلَ الذَّهَبِيَّ وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِماً، وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَأَرْغَمَهُمْ عَلَى الشُّرْبِ مِنْهُ." (الخروج : ٣٢)

ولم يكتف موسى بحرق العجل الذهبي وطحنه وتذريته في الماء وإجبار من عبده من بني إسرائيل على الشرب منه بل قرر تمحيصهم ومعرفة من يتبع الرب ممن تولى عنه واتبع هواه فوقف " في باب المخيم وصاح " كل من يتبع الرب فليقبل إليَّ هنا " فاجتمع حوله اللّاويون . فهتف بهم " هذا ما يعلنه الرب إله بني إسرائيل : ليتقلد كل واحد سيفه ، وجولوا في المخيم ذهابًا وإيابًا من مدخل إلى مدخل ، واقتلوا كل داعر سواء أكان أخًا أو صاحبًا أم قريبًا " . فأطاع اللّاويون أمر موسى فقُتِل من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل " (الخروج : ٣٢)

والسؤال هنا من الضحية ومن الجزار في هذه الحادثة التي تعد أول حادثة يُقْتَل فيها هذا الخلق الكثير من بني إسرائيل ؟ هل يعد الكافرون بالله العابدون للعجل هم الضحية ؟! ويهوه هو الجزار ؟!!

إن المتتبع لكل عقاب سينزل ببني إسرائيل بعد ذلك يجده يسير على هذا المنوال فساد من بني إسرائيل ، وعصيان لله يكون جزاؤه عقاب من الرب ينزله بهم ليس بأيديهم كما حدث في هذه المرة إنما بأيدي أعدائهم .

فتوراة اليهود توضح بجلاء المسئول عن كل بلاء حاق ببني إسرائيل ، إنه كفرهم وفسادهم ، وما العقاب الذي ينزله بهم الله إلا جزاء وفاقاً .

عقوبات العصيان في التوراة

فمن بين بنود الميثاق المبرم بين " يهوه " وشعبه عقوبات العصيان التي يقول الرب فيها لبني إسرائيل :

" إن عصيتموني ولم تعملوا بكل هذه الوصايا ، وإن تنكرتم لفرائضي وكرهتم أحكامي ولم تعملوا بكل وصاياي ، بل نكثتم ميثاقي ، فإني أبتليكم بالرعب المفاجئ وداء السل والحُمَّى التي تُفْني العينين وتتلف النفس ، وتزرعون على غير طائل ، وينهب أعداؤكم زرعكم . وأنقلب عليكم فتنهزمون أمام أعدائكم ، ويتحكم بكم مبغضوكم وتهربون من غير طارد لكم .

وإن أمعنتم في عصيانكم أزيد من عقابكم سبع مرات وفقاً لخطاياكم . أذِلُ غطرستكم ، وأجعل سماءكم كالحديد لا تمطر وأرضكم كالنحاس لا تُغِلُّ فيذهب جهدكم باطلا ... وإن لم تتعظوا ، وتماديتم في عصيانكم أنقلب عليكم وأزيد في بلائكم سبع مرات وفقا لخطاياكم . أسلط عليكم سيف العدو . فينتقم منكم لنقضكم ميثاقي .. وأجعل الأرض قفرا فيرتاع من وحشتها أعداؤكم الساكنون فيها ، وأشتتكم بين الشعوب ، وأجرد عليكم سيف ، وألاحقكم ، وأحول أرضكم إلى قفر ومدنكم إلى خرائب . عندئذ تستوفي الأرض راحة سبتها طوال سنين وحشتها وأنتم مشتتون في ديار أعدائكم . حينئذ ترتاح الأرض وتستوفي سنين سُبُوتِها فتُعَوِّض في أيام وحشتها عن راحتها التي لم تنعم بها في سنوات سُبُوتكم عندما كنتم تقيمون عليها . أما الباقون منكم في أرض أعدائكم ، فإني ألقي الرعب في قلوبهم فيهربون من حفيف ورقة تسوقها الريح ، وكأنهم يهربون من السيف . ويسقطون وليس ثمة مطارد لهم . ويعثر بعضهم ببعض كمن يفر من أمام سيف من غير مطارد لهم ، ولا تثبتون أمام أعدائكم فتهلكون بين الشعوب وتبتلعكم أرض أعدائكم . أما بقيتكم فتفنى بذنوبها وذنوب آبائها في أرض أعدائكم كما فني آباؤهم من قبلهم " (اللاويين : ٢٦)

كل هذه البلايا من خراب لبيت بني إسرائيل ، وأوبئة ، وقتل ، وشتات ، وقهر وذل من أعدائهم جزاء المعصية والفساد ونقض الميثاق مع الله فإن تابوا وأصلحوا فإن " يهوه " يجدد لهم العهد .

" إن اعترفوا بخطاياهم وخطايا آبائهم وبخيانتهم لي وعداوتهم ، التي جعلتني انقلب عليهم وأنفيهم إلى أرض أعدائهم وإن خضعت قلوبهم النجسة بعد أن استوفوا عقاب خطاياهم فإني أذكر ميثاقي مع إسحق وميثاقي مع إبراهيم "(اللاويين : ٢٦)

وبناء على هذا الميثاق ، وأحداث التاريخ التوراتي ، بل والتاريخ الإنساني العام ، فإن كل اضطهاد نزل ببني إسرائيل ، أو بالجماعات اليهودية في كل زمان ومكان كان بسبب فسادهم ونقضهم للعهد .

وإليك ثبتًا تاريخيًّا بأهم ما تعرضوا له من نوازل ، واضطهاد ، وأسباب هذا الاضطهاد في التاريخ الإنساني العام ثم في نصوص الأديان السماوية : التوراة ، الإنجيل ، القرآن .

أولاً : أسباب اضطهاد اليهود في مصر القديمة

ما كان اضطهادهم في مصر القديمة، ثم طردهم منها إلا بسبب خيانتهم للمصريين القدماء والتحالف مع أعدائهم .

فقد عاش بنو إسرائيل في مصر عيشة كريمة ، في أفضل مكان بمصر وامتلكوا أجود أرض فيها وكان ذلك زمن الهكسوس .

" ٢٧وَأَقَامَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي مِصْرَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ. وَاقْتَنَوْا فِيهَا أَمْلاَكاً وَأَثْمَرُوا وَتَكَاثَرُوا. " (التكوين : ٤٧)

أقام بنو إسرائيل في مصر في عهد الهكسوس نحو مائة عام في كنف يوسف في أمن وسلام وفي نعمة وإحسان . واستمرت الحياة هنيئة لبني إسرائيل في مصر حتى بعد موت يوسف وجميع أخوته لسنين طويلة .

ولكن بعد أن تمكن المصريون من طرد الهكسوس الذين عاش بنو إسرائيل في كنفهم وأعانوهم على حكم مصر وتسخير المصريين لهم كما جاء في التوراة . اعتبر المصريون أن بني إسرائيل هم الذين استعبدوهم لصالح الحاكم الأجنبي لذا قاموا باضطهاد واستعباد بني إسرائيل الذين عاونوا الهكسوس أعداءهم .

" وَمَا لَبِثَ أَنْ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ. ٩فَقَالَ لِشَعْبِهِ: «هَا بَنُو إِسْرَائِيلَ أَكْثَرُ مِنَّا وَأَعْظَمُ قُوَّةً. ١٠فَلْنَتَآمَرْ عَلَيْهِمْ لِكَيْلاَ يَتَكَاثَرُوا وَيَنْضَمُّوا إِلَى أَعْدَائِنَا إِذَا نَشَبَ قِتَالٌ وَيُحَارِبُونَا ثُمَّ يَخْرُجُوا مِنَ الأَرْضِ». ١١فَعَهِدُوا بِهِمْ إِلَى مُشْرِفِينَ عُتَاةٍ لِيُسَخِّرُوهُمْ بِالأَعْمَالِ الشَّاقَةِ. فَبَنَوْا مَدِينَتَيْ فِيثُومَ وَرَعَمْسِيسَ لِتَكُونَا مَخَازِنَ لِفِرْعَوْنَ. ١٢وَلَكِنْ كُلَّمَا زَادُوا مِنْ إِذْلاَلِهِمْ، ازْدَادَ تَكَاثُرُهُمْ وَنُمُوُّهُمْ، فَتَخَوَّفُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ١٣فَتَفَاقَمَ عُنْفُ اسْتِعْبَادِ الْمِصْرِيِّينَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. ١٤وَأَتْعَسُوا حَيَاتَهُمْ بِالأَعْمَالِ الشَّاقَةِ فِي الطِّينِ وَاللِّبْنِ كَادِحِينَ فِي الْحُقُولِ. وَسَخَّرَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ بِعُنْفٍ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِمِ الشَّاقَةِ." (الخروج : ١)

ولم يكن دافع فرعون مصر لاضطهاد بني إسرائيل مساعدتهم الهكسوس على استعباد المصريين فحسب بل قيامهم بأعمال تعد خيانة عظمى للوطن .

فقد كانوا يهربون أولادهم من التجنيد أو أعمال الحرب وانتهزوا فرصة انشغال فرعون وجيشه في محاربة الليبيين على الحدود الغربية فقاموا بتهريب الغلال والماشية والذهب إلى سوريا والبلاد الآسيوية وكانوا يشرفون على مخازن التموين وصوامع الغلال في بر رعمسيس ومنف مما تسبب في مجاعة في البلاد وتوقف إمداد الجيوش المحاربة بالتموين . فأوقف فرعون معاركه وعاد إلى العاصمة حيث أعد خطة للقضاء عليهم . (١)

(١) د. سيد كريم " لغز الحضارة المصرية ص ٢٥١. الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وتؤكد اللوحة المسماة بـ " لوحة إسرائيل " والتي جاء فيها أن من أعمال الفرعون " مرنبتاح " العظيمة هي انتصاره على الليبيين وقضائه على بني إسرائيل وتطهير مصر منهم . " وإسرائيل خُربت وليس بها بذر " (١)

وظل هذا دأب أكثر اليهود في أي مكان حلُّوا فيه فإنهم كانوا يعملون على نقض العهود ، وإشعال الحروب ؛ والتحالف مع أعداء الأمم التي يعيشون بين ظهرانيها مما جعلهم شعبا منبوذا مستحقا للاضطهاد .

ثانياً : أسباب السبي الأشوري

هاجم (شلمانصر الخامس) ملك أشور مملكة إسرائيل واستطاع أن يخضعها لحكمه ، وتعاهد مع هوشع ملك إسرائيل على دفع جزية سنوية نظير إبقائه في الحكم وقد قبل هوشع هذا العهد ، لكن سرعان ما خان هوشع العهد مع ملك أشور واستغاث بملك مصر سرا وأثاره على ملك أشور وما لبث أن اكتشف ملك أشور خيانة هوشع، الذي أرسل وفدًا يستغيث بـ " سَوَا " ملك مصر ، ولم يؤد جزية لملك أشور كعهده في كل سنة " فحاصر شلمانصر الخامس السامرة ، ثم استولى عليها وخلفه سرجون الثاني فاختفت المملكة الشمالية إلى الأبد بالاستيلاء عليها وتم ترحيل زعمائها ورؤوس قبائلها إلى آشور وميديا (شرقي العراق) وإحلال آراميين (من سوريا) وبابليين محلهم بحسب المدونات الآشورية (٧٢١ ق.م). وهذا ما يُسمَّى «السبي الآشوري» الذي اختفت على أثره القبائل اليهودية العشر " المفقودة " .

استمرت يهودا في دفع الجزية. وفي نهاية الأمر، اندلعت ثورة فيها بتأييد من مصر. وقد كان ردّ سناخريب حاسماً، فأخمد الثورة، ولكنه سمح ليهودا أن تستمر كدولة تابعة. وحينما عاود اليهود الكرَّة، حاصر سناخريب القدس ولكنها لم تسقط إذ اضطر إلى فك الحصار بسبب الوباء على أن يدفع اليهود الجزية " (٢)

---

(١) سليم حسن " موسوعة مصر القديمة " الجزء السابع مرجع سابق ص ١٠١

(٢) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ / ج ٣ " الآشوريين " . مرجع سابق .

ثالثاً : أسباب السبي البابلي

وحدث نفس الشيء قبل السبي البابلي . تَمَرُّد من اليهود ، وإشعال للثورة ، وإيقاد للحرب وتحالف مع كل القوى المتصارعة مما جعلهم أعداء للجميع فهم يعاهدون البابليين ، وفي نفس الوقت يعاهدون المصريين أعداء البابليين ، وفي الوقت ذاته يعاهدون الله ، فهم يريدون أن يمسكوا بجميع الخيوط حتى وإن كانت متناقضة فحبل من المصريين ، وحبل من البابليين أعدائهم ، وحبل من الله عدو لجميع الكافرين ، وهم أعداء للجميع .

فعندما كانت العلاقات بين الكلدانيين والمصريين متوترة ، ومرشحة للاصطدام ، قدر اليهود أن النصر سيكون حليف المصريين ، لذلك سارعوا للتحالف معهم ، وخالفهم في ذلك النبي " أرميا الكاهن " فقد كان اعتقاده أن النصر سيكون من نصيب نبوختنصر البابلي وجيشه .

ولما انتصر جيش نبوختنصر ، اقتحم نبوختنصر القدس وساق اليهود أسرى إلى بابل ، وقدَر للنبي " أرميا " موقفه فترك له الحرية في البقاء أو الهجرة . (١)

وكان نبوختنصر قد قاد حملتين ضد المملكة الجنوبية : الأولى في عام ٥٩٧ ق.م لإخماد التمرد فيها، ونفى ثمانية آلاف يهودي من الأرستقراطيين. وبعد بضع سنين، عندما أعاد العبرانيون الكرَّة بإيعاز من مصر، قاد نبوختنصر حملة أخرى عام ٥٨٦ ق.م. ورغم أن المصريين أرسلوا المساعدات للعبرانيين، فقد أسقط القدس ودمَّر الهيكل وأسر عدداً من اليهود ساقهم إلى بابل، وعيَّن جداليا حاكماً لفلسطين. " (٢)

رابعاً : أسباب السبي الروماني

والشيء نفسه حدث قبل الغزو الروماني فقد عاهد اليهود الرومان ثم عاهدوا أعداءهم من المصريين والفرس وكانت النتيجة أن دمر الرومان عليهم وهدموا لهم

---

(١) نعمان عبد الرزاق السامرائي " اليهود والتحالف مع الأقوى " نقلا عن الشبكة الإسلامية .

(٢) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ / ج ١ " : نبوختنصر" مرجع سابق .

الهيكل " فقد أرسل يهودا المكابي مبعوثاً للدولة الرومانية ليعقد حلفاً مع القوة الجديدة. وقد قبل الرومان... وقد قوَّى اليهود علاقتهم مع حكام الفرس ، ومع البطالمة في مصر، حتى أصبحت يهودا قوة عسكرية لا بأس بها في القرن الأول قبل الميلاد. ولكن القوة الرومانية الصاعدة كانت آخذة في الاقتراب، كما أن الخلافات الداخلية كانت تعتمل داخل الدولة اليهودية. ولذا، فقد سقطت الدولة بسهولة في يد الرومان (٦٥ ق.م) وتحولت إلى الدولة الهيرودية .

وقد تعاظمت قوة الحزب الشعبي بين اليهود أثناء حكم الأسرة الهيرودية، وكان أعضاء هذا الحزب لا يعرفون موازين القوى العظمى. ولذا فقد تمردوا ضد الهيمنة الرومانية، فكانت النتيجة سلسلة الهزائم والانكسارات في ماسادا وغيرها، وهي الهزائم التي انتهت بهدم الهيكل ثم القدس نفسها وبتحريم اليهودية في فلسطين." (١)

ويكشف لنا التاريخ أن التجار اليهود وصرافي النقود لم يقتصروا في أعمالهم غير المشروعة علي تجارة العبيد، بل كانوا ينظمون ويحتكرون التجارات الفاسدة، من مخدرات ودعارة وتهريب المسكرات والعطور والجواهر والبضائع الثمينة الأخرى.. وتأمينا لمصالحهم وحماية لعملياتهم غير المشروعة، كانوا يلجئون إلي الرشوة وشراء ذمم المسؤولين الكبار.. وهكذا استطاعوا بواسطة المخدرات والمسكرات والنساء تقويض أخلاق الشعب الروماني .. ويسجل التاريخ أن يوستنيانوس، وهو إمبراطور روما القوي، لم يكن بالقوة الكافية لوضع حد لتلك النشاطات .

وقد بحث المؤرخ البريطاني إدوارد جيبون (١٧٣٧ – ١٧٩٤) في التأثيرات المفسدة للتجار والمرابين اليهود، ووصفهم بأنه كانت لهم يد طولي في " انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومانية ".. وكان هذا هو عنوان كتابه.. وتحدث جيبون بإسهاب عن الدور الذي لعبته بوبابا زوجة نيترون، في التمهيد لتلك الظروف التي

(١) نفسه م٤ / ج١ " مصر والإمبراطورية الحيثية "

جعلت الشعب الروماني ينظر كالمخمور بدون مبالاة إلي انهياره السريع وتحطمه.. وبسقوط الإمبراطورية الرومانية تأسست السيطرة اليهودية، ودخلت أوروبا في "العصور المظلمة".

وتقول الموسوعة البريطانية حول هذا الموضوع ما يلي : " كان لدي التجار والمرابين اليهود ميل شديد للتخصص بالتجارة، وكان مما ساعدهم علي الامتياز في ذلك الحقل، مهارتهم وانتشارهم في كل مكان.. وكان معظم تجارة أوروبا في العصور المظلمة في أيديهم، وخاصة تجارة الرقيق " .

ونستطيع أن نلمس آثار تلك السيطرة اليهودية المطلقة، حين نرى مثلا قِطع عملة قديمة بولونية وهنغارية تحمل نقوشا يهودية .. ويكشف لنا إلحاح اليهود بهذه الصورة للسيطرة علي النقد وجعل إصدار العملة في أيديهم، أن المرابين اليهود اعتنقوا منذ تلك الأزمنة الشعار الذي اشتهر به بعد ذلك آمشل ماير باورر (١٧٤٣ – ١٨١٢ م) وهو: " دعنا نَتَوَلَّ إصدار النقد في أمة من الأمم والأشراف عليه، ولا يهمنا بعد ذلك من الذي يسنّ القوانين لهذه الأمة " !!

وقد طرح آمشل ماير باورر هذا الشعار علي شركائه، ليشرح لهم جوهر الدافع الذي حدا بالمرابين اليهود السعي للحصول علي السيطرة علي مصرف إنجلترا عام ١٦٩٤. (١)

وكانت هذه الجرائم اليهودية في حق الأوربيين سببًا في اضطهاد الأوربيين لهم طوال العصور الوسطى حتى عصر النهضة .

خامساً : أسباب عداء سيدنا محمد ﷺ لليهود :

أما عن علاقتهم بخاتم الأنبياء وإمام المرسلين فكانت أنكى وأشدَّ ؛ فعلى الرغم من المعاملة الراقية التي عاملهم الرسول بها إلا أنهم قابلوا وفاءه ﷺ لذمتهم بالغدر ، كما

(١) وليم جاي كار " أحجار على رقعة الشطرنج " الفصل الثالث " اليهود " .

قابلوا إحسانه ﷺ بالإساءة فقد أرادوا قتل النبي ﷺ بإلقاء حجر عليه وأنجاه الله تعالى من كيدهم ، وكرر اليهود محاولة قتل النبي ﷺ مرة ثانية لكن هذه المرة ليس بإلقاء حجر عليه إنما بالسم ونجا النبي من الموت بالسم وإن ترك السم أثرًا في جسده الشريف إلى أن توفاه الله تعالى .

وقد نقض اليهود عهد رسول الله ، وعاهدوا الأحزاب سرًا كعادتهم في معاهدة الأطراف المتصارعة معا فلما كفى الله تعالى المسلمين شر الأحزاب عاقبهم النبي على خيانتهم فقتل المحاربين المعتدين وأجلى الباقين عن المدينة .

والدولة الصهيونية تعترف بحسن معاملة المسلمين لليهود إبان الفتح الإسلامي لفلسطين " جاء الفتح الإسلامي للبلاد بعد أربع سنوات من وفاة النبي محمد ﷺ ٦٣٢. واستمر الحكم العربي للبلاد أكثر من أربعة قرون، وتوالى على الحكم الخلفاء الراشدون ثم خلفاء بني أمية من دمشق وخلفاء الدولة العباسية من بغداد ثم من مصر.

وفي البداية، تجدد التوطن اليهودي في القدس، ومنحت الطائفة اليهودية المكانة التي حظي بها أهل الذمة تحت الحكم الإسلامي، وهي المكانة التي تضمن سلامتهم وأمنهم وممتلكاتهم وحرية العبادة مقابل دفع الجزية ومع ذلك فإن القيود التي فرضت بعد ذلك على غير المسلمين (٧١٧م) أثرت على إدارة اليهود لشؤونهم العامة كما أثرت على ممارستهم لشعائرهم الدينية وعلى مكانتهم الشرعية. [1]

وسوء حال اليهود الاقتصادية والدينية في العصر العباسي الذي تدعيه الدولة الصهيونية هو محض افتراء وحسبنا للرد عليه هو ذكر ما كتبه المؤرخون الأكاديميون اليهود عن حال اليهود في العصر العباسي : " لقد مكَّنت وحدة الإمبراطورية العباسية تسهيل نقل الأشخاص والبضائع ورأس المال والأفكار من

([1]) نقلاً عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على الإنترنت .

المركز اليهودي في بغداد إلى معظم العالم اليهودي، وبالفعل فإن حوالي ٩٠ % من يهود العالم آنذاك كانوا يعيشون في العالم الإسلامي.

وكان العالم اليهودي حرًا في إدارة شئونه الداخلية بتدخل قليل من السلطات الإسلامية ما دام اليهود يدفعون ضرائبهم ويعترفون بسيادة الإسلام من خلال بعض التصرفات بعضها مذل شيئا ما. لا يهتم أسيادهم المسلمون كثيرا بما يقوم به اليهود ما داموا يحفظون السلام ويدفعون ضرائبهم (الحسبة أو الجزية) وما داموا ملتزمين بأماكنهم .

وصلت الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى فترتها الأكثر إنتاجًا بين السنوات٩٠٠ و١٢٠٠، وتبعتها الحضارة اليهودية في العالم الإسلامي على المنوال نفسه .تطورت في أثناء هذه الفترة بعض أكبر أعمال الفلسفة اليهودية، والنحو، والقانون وفقه اللغة، وصناعة المعاجم مماثلا للتقدم الكبير لهذه الحقول في العالم الإسلامي. ووجد الشعر اليهودي بالعبرية نهضته أيضا في هذه الفترة وتشبه أوزانه وأسلوبه ومحتواه مثيلاتها في الشعر الإسلامي العربي وفي هذه الفترة أيضا بدأ العراق يفقد السيطرة السياسية للإمبراطورية . [1]

ومع كل ما تمتع به اليهود في العصر العباسي من ازدهار اقتصادي واستقرار اجتماعي وتقدم في شتى المعارف : أدبيَّة ، وعلميَّة ، وفلسفيَّة لم يحمدوا للخلافة العباسية إحسانها إليهم فتحالفوا مع هولاكو وقدَّموا له المال والمشورة وتجسَّسوا له للقضاء على الخلافة العباسية والاستيلاء على أملاكها .

وحين سطع نجم هولاكو في المشرق كاتبه يهود بغداد وحالفوه وقدموا له المال والمشورة، قبل أن يصل إلى بغداد، فلما دخلها وقتل الخليفة ومليونين من المسلمين سَلِمَ اليهود ، فلم يُقْتَل منهم أحد ، كما سلمت أموالهم من النهب والسلب . [2]

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " ترجمة عبد الغني بن إبراهيم من منشورات: معهد هاريت و روبرت للتفاهم الدولي بين الأديان اللجنة اليهودية الأمريكية نقلاً عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية ص ٥٣

([2]) نعمان عبد الرزاق السامرائي " اليهود والتحالف مع الأقوى " .

سادساً : ملاحقة اليهود في أوروبا

ولنفس الأسباب التي اضطهد بسببها اليهود في الإمبراطورية الرومانية ، وفي صدر الإسلام اضطهد اليهود في أوروبا ففي عام ١٢٥٣ عمدت الحكومة الفرنسية إلي حل جذريٍّ لمشكلة اليهود، فطردتهم جميعًا لمخالفتهم القوانين، فاتجه قسم كبير من المطرودين إلي إنجلترا .. وحتى عام ١٢٥٥ كان اليهود قد تمكنوا من السيطرة علي عدد من كبار الرجال السلك الكنسي الإنجليزيّ، وعلي الكثير من النبلاء والسادة الإقطاعيين.. وكان هؤلاء المرابون ومن يسمونهم حكماء اليهود ينتمون إلي النورانيين.. وقد تم اكتشاف ذلك خلال التحقيق الذي أمر الملك هنري الثالث بإجرائه، في فضائح الاحتيال والرشوة والجرائم التي فاحت روائحها، بعد مقتل سان هيوأوف لينكولن عام ١٢٥٥.. وقد أثبتت التحقيق أن ثمانية عشر يهوديًّا كانوا هم الذين ينظمون تلك العمليات فقدموا إلى المحاكمة، وحكم عليهم بالإعدام .

مات الملك هنري عام ١٢٧٢، وخلفه علي عرش إنجلترا الملك إدوار الأول، الذي أصدر أمرا حرم بموجبة علي اليهود ممارسة الربا .. ثم استصدر من البرلمان عام ١٢٧٥ قوانين خاصة سميت " الأنظمة الخاصة باليهود ".. وكان الهدف منها تقليص سيطرة المرابين اليهود علي كافة مدينيهم، ليس فقط من المسيحيين بل حتى من الفقراء اليهود أنفسهم .. ولا يمكن وصمم هذه الأنظمة بأنها معادية للسامية لأنها حمت فيمن حمت اليهود المتقيدين بالقوانين .

وقد ظن المرابون اليهود أنهم في هذه المرة أيضًا، سيتمكنون من تحدي أوامر الملك.. وكان خطؤهم كبيرًا، إذ أن الملك عمد إلي إصدار قانون بطرد جميع اليهود من إنجلترا.. وكان ذلك بدء المرحلة التي يسميها المؤرخون "الإجلاء الأكبر".

بعد أن خطا الملك إدوار الخطوة الأولى، سارع ملوك ورؤساء أوروبا إلي الإقتداء به .

عام ١٣٠٦ طردت فرنسا اليهود، وتبعتها سكسونيا عام ١٣٤٨، وهنغاريا عام ١٣٦٠، وبلجيكا عام ١٣٧٠، وسلوفاكيا عام ١٣٨٠، والنمسا عام ١٤٣٠، والأراضي المنخفضة (هولندا) عام ١٤٤٤، وأخيرًا أسبانيا عام ١٤٩٢.

ويتخذ طرد اليهود من أسبانيا أهمية خاصة ؛ ففي القرن الرابع عشر تمكن المرابون اليهود للمرة الأولى من جعل الحكومة الإسبانية تمنحهم حقّ جباية الضرائب من الشعب مباشرة، كضمان للقروض التي كانوا يقدّمونها للحكومة.. واستغل المرابون اليهود هذا الوضع أبشع استغلال، وأبدوا من القسوة والوحشية في طلب "أقة اللحم" من الأهالي ما ملأ أفئدتهم بالحقد والغضب، بحيث أضحت شرارة واحدة كافية لتفجير النقمة.. فكانت هذه الشرارة في الخطابات اللاهية التي ألقاها فرناندو مارتسنسز، والتي هبّ علي أثرها الشعب لارتكاب واحدة من أكثر المجازر المعروفة دموية .. وهذا أحد الأمثلة التي دفع فيها اليهود الأبرياء جزاء سياسة زعمائهم المجرمة بحق الإنسانية .

وقد طرد اليهود من ليتوانيا عام ١٤٩٥، ومن البرتغال عام ١٤٩٨، ومن إيطاليا عام ١٥٤٠، ومن بافاريا عام ١٥٥١.

وهكذا يمكن القول بأن العصور المظلمة لدي اليهود بدأت مع بشائر عصر النهضة في أوروبا .. وهذه الحقيقة تدعم صحة النظرية التي يقول بها بعض المؤرخين والتي فحواها أن أمم أوروبا لم تستطيع البدء بعصر النهضة والازدهار، إلا بعد أن تمكنت من تحرير نفسها من براثن السيطرة الاقتصادية اليهودية .

حُصرت الجاليات اليهودية في أوروبا بعد حركات التهجير الكبرى، داخل أحيائها التي سميت بالجيتو، والتي يسميها اليهود الكاحل، حيث فرض علي اليهود أن يعيشوا معزولين عن جماهير الشعوب، يحكمهم حاخاماتهم أو حكماؤهم، الذين كانوا بدورهم خاضعين لتوجيهات النورانيين وكبار المرابين اليهود، الذين لبثوا في مراكزهم التي

تمكنوا من الحصول عليها في بعض المدن الأوروبية.. وكان عملاء النورانيين منبثين في أحياء الجيتو، ينفثون سموم الحقد والكراهية وروح الانتقام في قلوب الجماهير اليهودية، من أولئك الذين هجروهم وعزلوهم .. كما كان الحاخامات بدورهم يلقنونهم أنهم "شعب الله المختار" ، وأن يوم الانتقام آت دون ريب، وسيرثون الأرض ومن عليها .

وتجدر هنا الإشارة إلي أن معظم اليهود الذين انتقلوا إلي أوروبا الشرقية، فرض عليهم بدورهم العيش في "مناطق الإقامة" التي سمح لهم بها، والواقعة بصورة عامة علي الحدود الغربية لروسيا، من سواحل البحر البلطيقي في الشمال حتى سواحل البحر الأسود في الجنوب.. وكان معظمهم من اليهود الخزر في الأصل.. ويشتهر الخزر من اليهود بثقافتهم المعروفة بـ "اليديش" (وهو اسم لغتهم التي يتكاملون بها)، كما يعرفون بخبثهم وبخلهم الشديد، وأساليبهم المنحطة في الأمور المالية، وأخلاقهم الدنيئة.. ويجب أن نميز هنا بينهم وبين العبرانيين القدماء الذين ذكرتهم التوراة، فهؤلاء كانوا من الرعاة المهذبين في الغالب . [1]

نشوء السوق السوداء في أوروبا

طوَّر سادة المال الحركة الثورية، حتى حولوها إلي الشيوعية العالمية التي نعرفها اليوم.. كانوا ينظمون أعمال العنف الفردية حتى أصبحت حركة ثورية منظمة ووضعوا فيما بعد خطة منظمة لعودة اليهود للبلاد التي طردوا منها عن طريق التسلل، حيث إنهم كانوا ممنوعين قانونيًّا من الرجوع إلي تلك البلاد .. وحيث إنهم كانوا ممنوعين من الإقامة والحصول علي وظيفة، فقد زودوا بمبالغ وأرصدة لإنشاء نظام السوق السوداء، ومارسوا في هذه الأسواق كل أنواع التجارة والمبادلات المحرمة .. وكانوا يعملون حسب منهج الشركة الاحتكارية الخفية، مما أتاح لبارونات المال الذين يمولون هذه الشبكات أن يبقوا في الخفاء .

---

(1) انظر وليم جاي كار "أحجار على رقعة الشطرنج " الفصل الثالث " اليهود " .

إننا نستطيع الحكم علي نجاح مخطط تسلل اليهود إلي البلاد التي طردوا منها، بدراستنا للوقائع التالية : فقد عاد اليهود إلي إنكلترا عام ١٦٠٠م ، وإلى هنغافوريا سنة ١٥٠٠ ولكنهم طردوا منها ثانية عام ١٥٨٢.. وعادوا إلى سلوفاكيا سنة ١٥٦٢ ليطردوا منها عام ١٧٤٤.. وعادوا إلي ليتوانيا عام ١٧٠٠.. وبصرف النظر عن عدد المرات التي طردوا فيها، فإنهم في كل مرة كانوا يتركون وراءهم الشبكات الخفية التي كانت تدير وتخطط النشاطات الثورية والاضطرابات للقوي الخفية. (1)

سابعاً : أسباب اضطهاد روسيا القيصرية لليهود

لقد كان اليهود وراء كل ثورة ضد روسيا وكانوا سبب زعزعة الاستقرار فيها لذا كان إمبراطور روسيا شديد الكره لهم " وقد كان هرتزل يعرف مع ذلك معرفة كاملة المشاعر المعادية للسامية (لصاحب الجلالة إمبراطور روسيا) وروَى في الواقع في صحيفته المحادثات التي تمت في سان بطرسبرج مع وزير المالية الروسي الكونت "وت" Witte في ٩ من أغسطس عام ١٩٠٣م لقد قال لهرتزل منذ البداية : أتريد خروج اليهود من البلاد ؟ أأنت عِبراني؟ باختصار إلى مَن أتكلم الآن ؟

ـ أنا عبراني ورئيس للحركة الصهيونية.

ـ إذن ماذا علينا أن نقول أنت وأنا ؟ (2)

وأخذ " وت " يعدد مطاعن القيصر ضد اليهود، وهي المطاعن ذات الطابع الديني والاقتصادي والسياسي (وعليه فإذا كان هنا سبعة ملايين فقط من اليهود وسط شعب تعداده مائة وستة وثلاثون مليونًا ، فإن اليهود يشكلون ٥٠ % من القوة المؤثِّرة في الأحزاب الثورية) (3)

---

(1) نفسه .

(2) نشرة شيفر في مجموعة وثائق عن إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين ص ٣٩٤. نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات السماوية " مرجع سابق

(3) نفسه ص ٣٩٥.

ـ أظن أن هذه غلطة حكومتنا، فإن اليهود جِدَّ مُضطَّهَدِين، ولقد كنت دائمًا أقول للإمبراطور الراحل ألكسندر الثالث :

لو كان من الممكن يا صاحب الجلالة أن نُغرق ستة ملايين أو سبعة من اليهود في البحر الأسود، فربما أكون راضيًا رضًا كاملاً، ولكن إذا لم يكن هذا ممكنًا فيجب أن نتركهم يعيشون.

وأنا لم أغير رأيي، ولكني قُوبلتُ بتعاظم الاضطهاد .

لم يُخدَعْ هرتزل بهذه (الأريحية) تجاه اليهود، وقد عزاها بحق إلى حرص "وت" على تكديس الأحقاد المتجمعة لمصلحته وضد غريمه بلف ، وذلك بمناسبة مذبحة اليهود في كيشنيف (لو ساءت الأمور فسوف يسقط بلف وسوف يرتفع وت إلى الذروة) (1)

لقد كان وضع " وت " محدَّدًا بأمرين .

ـ وسأله هرتزل: إن جنودًا من الترك يحرسون قبر المسيح، ما رأيكم ؟

ـ ربما يكون أعظم سوءًا لو كان اليهود هم حراسه. (2)

ثامناً : أسباب اضطهاد هتلر النازي لليهود

سُئل هتلر عن سبب معاداته لليهود، فكانت إجابته قصيرة بقدر ما كانت قاسية :

" لا يمكن أن يكون هناك شعبان مختاران. ونحن وحدنا شعب الإله المختار" .

وقبل عرض آراء هتلر في اليهود لابد أن نفرق بين يهود العالم الذين تعاونوا مع الحلفاء ضد هتلر في الحرب ، واليهود الصهاينة الذين تحالفوا معه ضد الحلفاء بل وضد إخوانهم اليهود أيضًا (3) وكل الاتهامات التي شنها هتلر على اليهود والتي ضمنها كتابه " كفاحي " موجهة لليهود الاندماجيين غير الراغبين في الهجرة .

---

(1) نفسه ص ١٩٧.

(2) نفسه .

(3) راجع تفاصيل هذا التحالف في " أسطورة عداء الصهيونية للنازية " من هذا الكتاب .

صرَّح هتلر بأن اليد الخفية اليهودية وراء جميع الجرائم الأخلاقية التي تفسد المجتمع ، والأفكار المسمومة التي تضلله .

" قد أثبتت لي الأيام أن ما من عمل مخالف للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد . واستطعت أن ألمس مدى تأثير هذا " الشعب المختار " في تسميم أفكار الشعب وتخديره وشل حيويته " (١)

فاليهود وراء كل فن إباحي ، ووراء الشيوعية الهدَّامة ، ووراء الصحف الموجَّهة ضد الشعب الألماني .

" فقد امتدت أصابع الإخطبوط اليهودي إلى جميع الميادين وفرض سيطرته عليها. وأصبح هذا التغلغل كالطاعون الأسود بل أشد منه فتكًا ، إذ تسعة أعشار المؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التي تدعو إلى الإباحية المطلقة وللماركسيَّة هي من صنع اليهود أمَّا الصحف الكبرى التي أعجبت بها وبرصانتها فكان معظم محرريها وموجهيها من أبناء هذا " الشعب المختار " وشعرت بعد معرفتي بالحقيقة مدى تأثير اليهود في توجيه الرأي العام وذلك بالنظريات التي تتناسب ومصالحهم الشخصية البعيدة الهدف " (٢)

كما يصرح هتلر أن اليهود بارعون في جمع المال بشتى الطرق وإن كانت غير مشروعة وهي غالبا كذلك مثل تجارة الرقيق الأبيض والدعارة .

" ومما زاد في نقمتي على اليهود تكالبهم على جمع المال بجميع السبل الملتوية ، ولقد لمست الحقائق التي لا تخطر ببال للدور الذي يمثله اليهود في ترويج سوق الدعارة والاتجار بالرقيق الأبيض " (٣)

---

(١) ادولف هتلر " كفاحي " ص ١١ عن دار الكتب الشعبية بيروت لبنان ط الثانية ١٩٧٥
(٢) نفسه ص ١١
(٣) نفسه ص ١١

كما يؤكد هتلر أن اليهود هم وراء المذهب الشيوعي الذي يعمل على تدمير الحياة وخراب العالم وإشاعة الفوضى في كل مكان لصالح اليهود الذين يسعون لفرض سيطرتهم على العالم .

" درست العلاقة بين الماركسية واليهودية وتأكدت لي حقيقة اليهود ومراميها في إشاعة الفوضى والخراب في العالم ليتمكن هذا الشعب المختار من استغلال الفوضى وبفرض مشيئته في كل مكان " (١)

ويرجع هتلر خراب الاقتصاد الألماني قبل الحرب العالمية الأولى إلى اتباع ساسة ألمانيا نصائح عملاء الماركسية من اليهود في هذا الشأن بهدف قيام دولة تعمل لصالح اليهود على أنقاض ألمانيا .

" ولقد تأكدت لي مع الأيام الأخطاء السياسية التي ارتكبها المسئولون الألمان منذ أواخر القرن الماضي حتى نشوب الحرب العالمية كانت نتيجة الأخذ بنصائح عملاء الماركسية من يهود ومفكرين عديمي الإخلاص لوطنهم فعندما أقامت ألمانيا اقتصادها على تلك الأسس الواهية كان اليهود أول المهللين لها ، يقينا منهم أن الاقتصاد الأعوج سيؤدي بألمانيا إلى الانهيار ، فتقوم على أنقاضها الدولة التي يحلمون بها دولة تحكمها في الظاهر البروليتاريا وتخضع في نفس الوقت لسيطرة شرذمة من رجال المال اليهود " (٢)

ويجعل هتلر اليهود هم التابور الخامس الذي تحالف مع أعداء ألمانيا في الحرب العالمية الأولى .

" لقد كان على السلطات أن تحزم أمرها وتتخذ جميع التدابير الكفيلة بالقضاء على المضللين والماركسيين ومن ورائهم اليهود كان على الحكومة أن تقضي على أعداء

(١) نفسه ص ٢٢
(٢) نفسه ص ٢٢

ألمانيا على تلك الحثالة الباقية في المؤخرة بينما كانت النخبة في الأمام تجود بدمائها في ساحة القتال " (١)

قبل إعلان الصهاينة المفوضين عن اليهود تحالفهم مع الحلفاء ضد هتلر في الحرب العالمية في سبتمبر سنة ١٩٣٩ لم يكن هتلر راغبا في قتل اليهود إنما أراد التخلص منهم كما تخلصت بقية أوربا منهم عن طريق التهجير ، لكن بسبب تحالف اليهود مع الحفاء وتجسسهم ضد ألمانيا ، وفشل هتلر في تهجيرهم للأسباب الآتية :

١- لم يكن لدى هتلر مستعمرات في آسيا وأفريقيا ينقلهم إليها .

٢- رفض دول أوربا استقبالهم .

٣- إغلاق إنجلترا – صاحبة الانتداب على فلسطين حينئذ – باب الهجرة أمام هجرة اليهود إلي فلسطين بسبب ثورة العرب .

لهذه الأسباب لم يكن بوسع هتلر التخلص من اليهود إثناء الحرب إلا باحتجازهم في معسكرات الاعتقال بوصفهم " رعايا شعب في حالة حرب مع ألمانيا " ثم بالإبعاد نحو مدغشقر في بادئ الأمر ثم نحو الشرق في الأراضي المحتلة وخاصة في بولندا حيث هلك كثير من اليهود بالأشغال الشاقة في خدمة الإنتاج الحربي ، ثم بالأوبئة الفظيعة ، فعل هتلر ذلك باليهود بسبب ارتكابهم جريمة الخيانة العظمى بالتحالف مع أعدائه أثناء الحرب كما فعل الأمريكان مع مواطنيهم من أصل ياباني عشية دخولهم الحرب مع اليابان .

أسباب اضطهاد اليهود في الكتب السماوية

ولا تكاد الكتب السماوية تختلف عن التاريخ الإنساني العام في رد كل اضطهاد لبني إسرائيل والجماعات اليهودية إلى فسادهم وانحرافهم الديني والسلوكي والأخلاقي .

(١) نفسه ص ٢٦

أولاً : أسباب اضطهاد بني إسرائيل في التوراة

العجيب أن توراة اليهود أكثر الكتب السماوية تصريحًا بأن كفر وفساد وانحراف بني إسرائيل هي السبب الحقيقي وراء اضطهاد الشعوب لهم ، ونكتفي في هذا المقام ببعض الإشارات على سبيل المثال لا الحصر .

" ارتكب بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا إلههم وعبدوا البَعْلِيم وعَشْتَارُوث فاحتدم غضب الرب عليهم ، فسلط عليهم كوشان رشعتايم ملك أرام النهرين ، فاستعبد كوشان رشعتايم بني إسرائيل ثماني سنوات .

واستغاث بنو إسرائيل بالرب فأقام لهم مخلصا أنقذهم هو عُثْنِيئِيل بن قناز أخو كالب الأصغر فحلّ عليه روح الرب وصار قاضيًّا لإسرائيل . وحين خرَج لمحاربة كوشان رشعتايم ملك أرام تغلب عليه ، وأظفره الرب به .

وعم السلام البلاد حِقبة أربعين سنة ، إلى أن مات عُثْنِيئِيل بن قناز . فعاد بنو إسرائيل يقترفون الشر في عيني الرب فسلط عليهم الرب عِجْلون ملك موآب عقابًا لهم على شرهم فألّب عليهم بني عَمُّون وعماليق ، وهاجَمَهم واحتلّ أريحا مدينة النخل واستعبد عجلون ملك موآب بني إسرائيل ثماني عشرة سنة فاستغاث بنو إسرائيل بالرب فأرسل لهم منقذا إهود بن جيرا البنياميني .. وهاجموا الموآبين وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف من المحاربين الأشداء في ذلك اليوم خضع الموآبيون لبني إسرائيل وعمَّ السلام البلاد ثمانين سنة ..

وبعد موت إهود عاد بنو إسرائيل يرتكبون الشر في عيني الرب فأخضعهم الرب لبابين ملك كنعان .. " (القضاة : ٣ ، ٤)

وتذكر توراة اليهود أن فساد اليهود كان السبب في عقاب الرب لهم بالسبي الآشوري .

" فاحتدم غضب الرب على إسرائيل ، وطردهم من حضرته ، ولم يبق سوى سِبط يهوذا . ولكن حتى سبط يهوذا لم يحفظ وصايا الرب إلهه بل نهج في طُرُق إسرائيل التي سلكتها . فنبذ الرب كل ذرية إسرائيل وأذلهم وأسلمهم ليد آسريهم

وطرهم من حضرته .. فسُبيَ الإسرائيليون من أرضهم إلى أشور إلى هذا اليوم .. ونقل ملك أشور أقواما من بابل وكوث وعوًا وحماة وسفروايم ، وأسكنهم مدن السامرة محل بني إسرائيل ، فستولوا على السامرة وأقاموا مدنها "

(ملوك الثاني : ١٧)

وبدلاً من اتعاظ بقية مدن إسرائيل بما أحدثه ملك أشور بالسامرة وأهلها راحوا يتمادون في غيهم وفسادهم فأوحى الرب إلى نبيهم ميخا أن أنذر كل من مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل بخراب أورشليم بسبب فساد شعب إسرائيل .

" ثم قال الرب على لسان عبيده الأنبياء : " لأن منسى ملك يهوذا اقترف جميع هذه الموبقات ، وارتكب شرورا أشد من فظاعة شرور الأموريين الذين كانوا قبله ، وأضل يهوذا فجعله يأثم بعبادة أصنامه ، لذلك يقول الرب إله إسرائيل : " ها أنا أجلب شراً على أورشليم ويهوذا فتَطِنُّ أذنا كل من يسمع به . وسأوقع على أورشليم العِقاب الذي أوقعته بالسامرة وبأخآب ونسله . وأمسح أورشليم من الوجود كما يمسح الطبق من بقايا الطعام ثم يقلب على وجهه ليجف . وأنبذ بقية شعبي وأسلمهم إلى أيدي أعدائهم فيصبحوا غنيمة وأسرى لهم ، لأنهم ارتكبوا الشر في عينيَّ وأثاروا غضبي منذ خروج آبائهم من مصر إلى هذا اليوم . وزاد منسى فسفك دم أبرياء كثيرين حتى ملأ أورشليم من قصاها إلى أقصاها " (ملوك الثاني : ٢١)

وتلخص توراة اليهود قصة شعب إسرائيل عبر تاريخه فتقول :

" أوحى إليَّ – إي حزقيال – بكلمته قائلاً " يا ابن آدم ، عندما أقام شعب إسرائيل في أرضهم نجسوها بطرقهم الشريرة وتصرفاتهم .

كانت طريقهم أمامي نجسة كنجاسة الطامث فسكبت غضبي عليهم جرَّاء ما سفكوا من دم على الأرض التي نجسوها بأصنامهم ففرقتهم بين الأمم وشتتهم في البلدان ، ودنتهم بمقتضى طريقهم وتصرفاتهم .

وحين استقروا بين الأمم التي تفرقوا بينها دنَّسوا اسمي القدوس إذ قيل لهم : هؤلاء شعب الرب وقد طردوا من أرضه .

فغرت على اسمي الذي نجسه شعب إسرائيل بين الأمم التي تفرقوا بينها .

لذلك قل لشعب إسرائيل : ليس لأجلكم أنا موشك أن أعمل (عظائم) يا شعب إسرائيل ، بل غيرة على اسمي الذي دنستموه بين الأمم التي تفرقتم بينها فأقدس اسمي العظيم الذي صار بسببكم منجسا بين الأمم التي تفرقتم بينها فتدرك الأمم أني أنا الرب حين أتقدس فيكم أمام أعيينهم يقول السيد الرب إذ آخذكم من بين الأمم وأجمعكم من كل البلدان وأحضركم إلى أرضكم وأرش عليكم ماء نقيا فتطهرون من كل نجاساتكم ومن أصنامكم ... ولهذا اعلموا أنه ليس من أجلكم أنا أفعل هذا ، يقول السيد الرب فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا شعب إسرائيل " (حزقيال : ٣٦)

ثانياً : رأي يسوع في اليهود

ولقد تعقب اليهودُ يسوعَ وجادلوه طويلاً وأنكروا عليه دعوته ، ولمَّا يأس يسوع من هدايتهم ، وإصلاح انحرافهم صبَّ عليهم جام غضبه واصفا إياهم بالرياء والنفاق والعمى ، وبأنهم أحفاد قتلة الأنبياء وأبناء الحيات والأفاعي ، وحمَّلهم مسئولية كل دم زكي سفح ظلمًا حتى وإن كان دم هابيل ابن آدم ...

" لكم الويل أيها الكتبة والفريسيين (علماء اليهود) المراءون فإنكم تغلقون ملكوت السموات في وجوه الناس فلا تدخلون ولا تدعون الداخلين يدخلون الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم تلتهمون بيوت الأرامل وتذرعون بإطالة صلواتكم لذلك سينزل بكم دينونة أقسى الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا متهودًا واحدًا فإذا تهود جعلتموه أهلاً لجهنم ضعف ما أنتم عليه الويل لكم أيها القادة العميان تقولون من أقسم بالهيكل فقسمه غير ملزم أما

من أقسم بذهب الهيكل فقسمه ملزم أيها الجهال العميان أي الاثنين أعظم الذهب أم الهيكل الذي يجعل الذهب مقدسًا ...

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم تؤدُّون حتى عشور النعنع والشبث والكمُّون وقد أهملتم أهم ما في الشريعة : العدل والرحمة والأمانة . كان يجب أن تفعلوا هذه أولاً ولا تفعلوا تلك أيها القادة العميان إنكم تصفون الماء من البعوضة ولكنكم تبلعون الجمل الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم تنظفون الكأس والصفحة من الخارج ولكنها من الداخل ممتلئتان بما كسبتم بالنهب والطمع الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم كالقبور المطلية بالكلس تَبْدو جميلة من الخارج ولكنها ممتلئة بعظام الموتى وكل نجاسة كذلك أنتم تبدون للناس أبرارا ولكنكم من الداخل ممتلئون بالرياء والفسق الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الأبرار وتقولون لو عشنا في زمن آبائنا لما شاركناهم في سفك دم الأنبياء فبهذا تشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء قاتلي الأنبياء فأكملوا ما بدأه آباءكم ليطفح الكيل أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تفلتون من عقاب جهنم ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء ومعلمين فبعضهم تقتلون وتصلبون وبعضهم تجلدون في مجامعكم وتطاردونه من مدينة على أخرى وبهذا يقع عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل البار إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح الحق أقول لكم إن عقاب ذلك كله سينزل بهذا الجبل ."

(متى : ٢٣)

وبعد أن لعن يسوع اليهود وفضح جرائمهم تنبأ بخراب أورشليم مسكن اليهود الملاعين الذين سفكوا دماء الأنبياء وكذبوا المرسلين فيقول :

" يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا ! ها إن بيتكم يُتْرَك لكم خرابا فإني أقول لكم إنكم لن تروني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب" (متى : ٢٣)

ثالثاً : اليهود في القرآن الكريم

لم يكتف بنو إسرائيل بعصيان أوامر الله فحسب بل كفروا بآيات الله وعبدوا العجل من دون الله تعالى ، بل وامتدت يدهم الآثمة إلى أنبياء الله فقتلوا فريقا منهم ، وكذبوا الآخرين ، لذا ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب منه تعالى :

{ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ } (البقرة : ٦١)

وسوَّلت لهم أنفسهم الأمارة بالسوء أن يصفوا الله تعالى بصفات منكرة لا يرضاها من البشر أحد فما بالك بالخالق العظيم المتعال الغني المغني سبحانه وتعالى عما يصفون .

لذا فقد عاقبهم الله بان ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما جمعوا وأعدوا شتت الله جمعهم .

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (المائدة : ٦٤)

والقرآن الكريم ينص على أن أكثر اليهود ناقضون لعهود الله وعهود البشر .

{ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ } (البقرة: ١٠٠)

ومن صور خيانتهم للعهود تحالفهم مع كل القوى المتصارعة مما جعلهم أعداء للجميع فهم يعاهدون البابليين مثلاً ، وفي نفس الوقت يعاهدون المصريين أعداء البابليين ، وفي ذات الوقت يعاهدون الله ، فهم يريدون أن يمسكوا بجميع الخيوط حتى وإن كانت متناقضة فحبل من المصريين ، وحبل من البابليين أعدائهم ، وحبل من الله

عدو لجميع الكافرين ، مما يجعلهم أعداء للجميع ، وهذه سمة الجبان الذليل ، كما أنها سمة خائن العهد ولقد وصفهم الله بهاتين الصفتين من بين صفاتهم الدنيئة الكثيرة {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ } (آل عمران : ١١٢) .

عن ابن عباس { إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ } قال : بعهد من الله وعهد من الناس .

فمعنى الحبل في هذه الآية السبب فاليهود ضربت عليهم الذلة أينما وجودوا إلا بسبب من الله وهو إتباعهم الوحي والهدي النبوي عندما اتبعوا سيدنا موسى عليه السلام فأعزهم الله بعدما كانوا أذلة، أو بسبب من الناس من خلال تملق الأقوياء والتحالف معهم وجعلهم أداة ووسيلة تحقيق أهدافهم .

وهذا ما يصدقه الواقع والتاريخ فاليهود قوم انتهازيون وصوليون ، يتملقون الأقوياء ويتحالفون معهم من أجل خدمة أهدافهم . [1]

وذكر الله تعالى في كتابه العزيز فساد بني إسرائيل وتسليط الله أعداءهم عليهم .

{ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً * فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً * عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا }
(الإسراء : الآيات من ٤ : ٨)

([1]) نعمان عبد الرزاق السامرائي " اليهود والتحالف مع الأقوى " .

ولقد صدقت النبوءة والوعد فسلط الله على بني إسرائيل من قهرهم أول مرة ثم سلط عليهم من شردهم في الأرض ودمر مملكتهم تدميرًا .

أهؤلاء هم الضحية التي يتحدثون عنها ؟

أ هؤلاء من يستحقون وعد الله لإبراهيم كما يزعمون ؟

إن شرارهم أنجس من خَلَقَ الله على وجه البسيطة ، وإن ما حدث لهم على مدى التاريخ كان جزاء وفاقا .

وبعد أن أثبتنا بالأدلة القاطعة : دينية ، وتاريخية أن اليهود لم يكونوا أبدًا ضحية عبر التاريخ بل أن مفسديهم هم وراء كل ما حل بهم من اضطهاد ، وأن سماتهم الخسيسة هي التي جعلتهم شعبًا منبوذا من كل شعوب الأرض ، وهي التي حولتهم إلى جزار يفتك بالضعفاء والأبرياء ، ولا يستثني في عدوانه نبيًّا ولا رسولاً ، ولا طفلاً ولا شيخاً ، ولا امرأة ولا نبتاً ، لقد ارتكب اليهود في تاريخهم من الجرائم في حق الأنبياء والمرسلين ما لم يرتكبه شعب آخر فقد كذب كثير منهم الأنبياء والمرسلين بل سعوا إلى قتلهم ، وتمكنوا بالفعل من قتل فريقاً من الأنبياء وسنعرض في الكتاب الثاني من هذه السلسلة لقصتهم في الكتب السماوية : قصتهم في التوراة ، وقصتهم مع سيدنا عيسى كما جاءت في الأناجيل ، ومع سيدنا موسى كما جاءت في القرآن الكريم ، ومع سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وكلها تؤكد أن ما حاق بهم من اضطهاد كان جزاءً وفاقاً .

معاداة السامية

لو أخذت العبارة بالمعنى الحرفي، فإنها تعني العداء للساميين أو لأعضاء الجنس السامي الذي يشكل العرب أغلبيته العظمى . بعكس اليهود الذين لا نستطيع أن نجزم على أي منهم بأنه سام خالص كما سبق الحديث .

ولكن مصطلح " معاداة السامية " في اللغات الأوربية، يقرن بين الساميين واليهود ويوحِّد بينهم ، وهذا يعود إلى جهل الباحثين الأوربيين في القرن التاسع عشر

بالحضارات الشرقية ، وعدم تكامل معرفتهم بالتشكيل الحضاري السامي أو بتنوع الانتماءات العرْقية والإثنية واللغوية لأعضاء الجماعات اليهودية .

علاقة مصطلح " معاداة السامية " بالصهيونية

قد اختلط المجال الدلالي لمصطلح معاداة السامية تماماً في اللغات الأوربية بعد ظهور الصهيونية . وبعد سيطرة الخطاب الصهيوني على النشاط الإعلامي الغربي، لم تَعُد هناك تفرقة بين ظاهرة معاداة اليهود في الدولة الرومانية وظاهرة معاداة اليهود في العصور الوسطى المسيحية. ولم يَعُد هناك تمييز بين معاداة اليهود على أساس عِرْقي وبين معاداة اليهود على أساس ديني . وأصبحت معاداة الصهيونية ، بل والدولة الصهيونية هي الأخرى، تُصنَّف باعتبارها من ضروب معاداة اليهود .

وحينما كانت دول الكتلة الشرقية تصوِّت ضد إسرائيل في هيئة الأمم المتحدة، كان هذا يُعدُّ أيضاً تعبيراً عن تقاليد معاداة اليهودية الراسخة فيها . وبالمثل اعتُبر قيام فرنسا ببيع طائرات الميراج لليبيا تعبيراً عن الظاهرة نفسها .بل ويذهب أنصار هذا الرأي إلى أن نضال الشعب الفلسطيني ضد الاستيطان الصهيوني تعبير عن الظاهرة نفسها. وهكذا اتسع المجال الدلالي للمصطلح واضطرب ليضم عدة ظواهر لا يربطها رابط، حتى أصبح بلا معنى، وأصبح أداة للإرهاب والقمع الفكريين .

يُستخدَم المصطلح أيضاً للإشارة إلى ما يسميه الصهاينة «معاداة السامية الإسلامية»، أي عداء المسلمين لليهود. وهم يرون أن هذا النوع من العنصرية آخذ في التزايد حيث ينظر المسلمون إلى اليهود باعتبارهم "أعداء الله"، وأن إسرائيل تعبير عن المؤامرة اليهودية الأزلية .

ويرى الصهاينة أن معظم أشكال معاداة اليهود أشكال بنيوية، أي لصيقة ببنية المجتمع. وتحاول الصهيونية العمالية أن تبرهن على وجود هذه المعاداة البنيوية للسامية من خلال تحليل علاقات الإنتاج في المجتمع لتصل إلى نتيجة مفادها أن المجتمعات البشرية لا تسمح لليهودي أن يعمل في القطاعات الإنتاجية وأن اليهودي

من ثم محكوم عليه بالهامشية والطفيلية، وأن الحل الوحيد لهذه الهامشية البنيوية أن يؤسس اليهود لهم وطناً يمارسون فيه سيادتهم القومية ويشغلون فيه كل المواقع في الهرم الإنتاجي .

ويذهب الصهاينة إلى أن معاداة اليهود ليست لصيقة ببنية المجتمع وحسب، بل لصيقة ببنية النفس البشرية. وهذا ما عبَّر عنه شامير بشكل سوقي حين قال إن البولنديين يرضعون معاداة اليهود مع لبن أمهاتهم . ويرى الصهاينة أن العرب والمسلمين يعانون من الظاهرة نفسها، أي المعاداة البنيوية للسامية .

والعلاقة بين «المعاداة للسامية» و«الصهيونية » علاقة قوية، فإذا كانت " معاداة السامية " تهدف إلى التخلص من اليهود وتطهير أوربا منهم ، فإن " الصهيونية " تهدف إلى توظيفهم بحيث يتجه المهاجرون اليهود إلى فلسطين . [1]

استغلال الصهيونية لأسطورة " معاداة السامية "

استغلت الصهيونية فكرة اللاسامية لتحقيق أهدافها في إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين ، بل عملت على تأجيج نارها وافتعالها كلما خمدت .

ويعترف هرتزل أن ماكس نوردو يتفق معه في الاعتراف بأن "اللاسامية وحدها هِي التِي صنعت منا يهودا، "فهو جدُّ مقتنع بأن أفكار "الجنس"، بل وأفكار "الشعب" و"القومية" اليهودية ليس لها من واقِع . [2]

وقد كان هناك اعتقاد بأن اللاسامية ستنتهي بهزيمة النازية ولكن الصهيونية أرادت للاسامية أن تستمر لأنها البقرة الحلوب للصهيونية المعاصرة وأداة الابتزاز والإرهاب التي تشهرها ضد العالم، ولا سيما ضد الإنسان الأوروبي الذي أصبح يعاني بفعل الدعاية الصهيونية من عقدة الذنب وتأنيب الضمير. إن إشهار سلاح

([1]) لمزيد من التفصيل عن مصطلح " معاداة السامية " الرجوع لموسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية" م ٢/ ج٤ " عداء الأغيار الأزلي لليهود واليهودية ".

([2]) يومِيات تيودور هرتزل مرجع سابق ص ٧٨ .

اللاسامية على كل من يقف في وجه الحركة الصهيونية أو يشكك في نشاطها أو مطامعها التوسعية أطلق يدها لتهيمن على مقدرات الإعلام الغربي فلم يعد هناك كاتب أو مفكر أو صحفي حر يجرؤ على فضح الصهيونية أو إدانتها دون أن يتعرض لتهمة اللاسامية . ولم تقف الصهيونية في استغلالها اللاسامية ، عند هذا الحد فراحت تتهم كل من يتعاطف مع الفلسطينيين في مأساتهم بأنه لا سامي، تماماً مثلما اتهمت العرب (الساميين) بأنهم لا ساميون ، لا بل إنما اتهمت اليهود الذين عارضوا الصهيونية باللاسامية فحين تظاهر اليهود العراقيون في تل أبيب عام ١٩٥١ احتجاجاً على التفرقة بين الاشكنازيين والسفارديين هاجمهم بن غوريون ووصف تظاهراتهم بأنها "لا سامية إسرائيلية".

وما تزال الصهيونية تشتهر سلاح اللاسامية في وجه كل دولة أو سياسي في العالم ينتقد (إسرائيل) أو يقف من العرب موقفاً مؤيدًا، بعدما استخدمت هذا السلاح بفاعلية لإقامة دولتها على أرض فلسطين .(١)

واليهود الصهاينة إذ يرفعون شعار معاداة السامية في وجه أعدائهم إنما يرمون إلى هدفين : التغطية على جرائمهم التي يرتكبونها في حق الشعوب العربية ، وكسب تأييد الدول الغربية في مشروعها الاستيطاني .(٢)

ليت العرب والمسلمين يحسنون الدفاع عن حقوقهم كما يحسن اليهود الصهاينة الدفاع عن باطلهم ، لكن مما يؤسف له أن العرب والمسلمين قد خسروا قضاياهم المشروعة بسبب انعدام المحامين المخلصين عنها فاغْتُصِبت أراضينا وحكم علينا بالإرهاب !!

***

(1) " قاموس المصطلحات الصهيونية " عن المركز الإعلامي الفلسطيني على شبكة المعلومات .
(2) انظر الفصل الثالث من الباب الثاني " أسطورة معاداة الصهيونية لأعداء السامية " في هذا الكتاب .